أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبوبكر القاضي

المجلس السابع عشر:

أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

اشتدت المواجهة، واشتعلت النار ،وطال لهيبها السماء أوقدوا ناراً عظيماً غضباً لآلهتهم غضب توارثوه عن أجدادهم، وعن آبائهم لقد علا الكفر واستعلى الكفر، ولم يسمع لصوت الإيمان، ولم يسمع لصوت الحجة والبيان ،وأراد أن يسكت صوت الحق.

قال تعالي: { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} [سورة الأنبياء: 68]

هكذا أتوا ا بإبراهيم- عليه السلام- ماذا هو تهمته؟!

قال تعالي: { وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [البروج 8-9]

هكذا {أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله}

هكذا عبر العصور الإبتلاء للصالحين والمصلحين، والدعاة من ورثة الأنبياء، والرسل التهمة العظيمة هي قولهم ربي الله .

قال تعالي: { وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [الـ عمران: 21]

كفر مجرد أن تقتل رجلاً من أجل دعوته إلى الله، من أجل أنه يقول ربي الله ليس لعداوة شخصية؛ وإنما عداوتك مع ربه، عداوتك؛ أنه يدعو لدين الله- تبارك وتعالى- يبلغ رسالات ربه، يعبّد الدنيا بدين ربها، يبلغ الحق للخلق من أجل ذلك تعاديه ! من أجل ذلك تقتله !

أتوا بإبراهيم- عليه السلام - نزعوا عنه كل ثيابه، نزعوا عنه كل كساء حتى أصبح عرياناً

إبراهيم-عليه السلام !

إبراهيم الخليل عليه السلام الذي رفعه الله- تبارك وتعالى !

الذي جعله لسان الصدق في الآخرين، جعله لسان الصدق العلي ، جعله أمة، جعله إماماً، ومع ذلك ينزع عنه الثياب !

أيها المبتلى الإبتلاء ليس علامة إهانة، ليس علامة طرد، ليس علامة إبعاد .

عليك أن تفهم عن الله- عز وجل- أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل.

عن سعد بن أبي وقاص قال : يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً ؟ قال : الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ ، يُبتلَى الرَّجلُ على حسْبِ دِينِه ، فإن كان دِينُه صُلبًا اشتدَّ بلاؤُه ، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ ابتلاه اللهُ على حسْبِ دِينِه فما يبرَحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يمشيَ على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ.

عليك أن تفهم أن كل شيء ستبتلى فيه لله سيعوضك الله خيراً منه.

أول من يُكسي من الخلائق يوم القيامة إبراهيم - عليه السلام - لماذا؟

لأنه بذل وتعري لله- عز وجل- عرّوه من ملابسه ووضعوه في المنجنيق ألقوه في النار التي أوقدوها أربعين يوماً هذا الظلم ،هذا الطغيان.

إبراهيم- عليه السلام- كيف تفعلون بي هكذا؟!

كيف تصنعون بي هكذا؟!

إبراهيم عليه السلام عرياناً وفي المنجنيق كيف يحدث ذلك لخليل الله- عز وجل ؟!

كيف يتركهم الله- تبارك وتعالى -كذلك؟!

كيف يتركهم الله يفعلون ذلك بوليه؟!

قال تعالي: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سورة البروج: 8]

إياك أن تظن؛ أن ابتلاء الولي، أو النبي لنقص عزة الله؛ بل الله هو العزيز، وهو له تمام الملك وتمام العزة، وما ابتلي أولياؤه لنقص عزته أو لنقص ملكه؛ بل هو -عز وجل -هو الملك المليك ويستحق الحمد على ذلك؛ لأن بهذا الإبتلاء سيتجلى، وسيظهر من قلوب أوليائه، وأصفيائه العبودية التي يحب من التوجه إليه، والتوكل عليه.

في هذه اللحظة الحاسمة جاء جبريل -عليه السلام - له ستمائة جناح كل جناح يسد الأفق ينزل منها الدر، والياقوت، والتهاويل كما رآه النبي -صلى الله عليه وسلم -على خلقته مرتين.

جبريل- عليه السلام -ذو مرة فاستوى ذو قوة ،وإبراهيم- عليه السلام -في المنجنيق عارياً قال له ألك حاجة ؟

عجب في هذه اللحظة أ لي حاجة؟!

نعم لي حاجة .

- لي حاجة أن أنجو.
- لي حاجة ألا تشمت بي الأعداء.
- لي حاجة أن تخرجني من هذا الموقف.

الموقف واضح.

ألك حاجة ؟

قال له: أما لك؛ فلا ،وأما إلى الله فنعم.

لماذا أسأل غير الله، وربي قريب لا يأفل، ولا يغيب حي قيوم سميع بصير.

لماذا أسأل غيره ؟!

تنحى يا جبريل فما هذا موضع زحمة ،وخلني وخليلي فإليه الرحمة؛ سأبذل لحمي وشحمي في سبيل ربي قال { :حسبي الله ونعم الوكيل }

قال ابن عباس -رضي الله عنهما -حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم- عليه السلام -حين ألقي في النار، وقالها أصحاب محمد حين قال له الناس{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } [آل عمران: 173]

أهل الإيمان يزدادون مع البلاء إيماناً، وثباتاً، ورسوخاًوتوكلاً، وتفويضاً، والتجاءاً إلى الله يظهر من قلوبهم أنوار عجيبة تمتد عبر العصور إلى أن تصلك الآن.

أيها المشاهد -أيها السامع- أيها القارئ

تجد برد اليقين تجد دفء الإيمان، تجد قوة ورسوخ " التوحيد " قال{ حسبي الله ونعم الوكيل }

ألقي إبراهيم- عليه السلام- في النار ،والكل متربص، الكل ينتظر أن يحترق، الكل ينتظر أن يتفحم، الكل ينتظر أن يسود، الكل ينتظر أن ينتشي من أهل الكفر حتى أبيه ينتظر أن ينتشي بعلو آلهته على من دعاه إلى الله، على من عرى آلهته عن كل حجة، وعن كل برهان كيف يكونوا آلهة؟!

قال تعالي: { أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [سورة الأنبياء: 67]

كان الله قادراً على أن ينزل مطراً، أو تهب ريح تجعل هذه النار تهدأ، أو تهمد، أو تخمد؛ ولكن على قدر المؤونة تأتي المعونة على قدر ما في قلبك يكن الله لك.

قال تعالي: { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } [الأنبياء: 69]